بسم الله الرحمن الرحيم

((كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ))

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَاصِرِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ، وَالْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللَّهِ –﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[١]، فَإِنَّ الْاعْتِصَامَ بِحَبْلِ اللهِ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ وَأَسَاسُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَاعْلَمُوا – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ – أَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَقَدْ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ مُخَاطِبًا أَفْرَادَ هَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[٢]، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٣]، وَلِذَلِكَ كَانَ لِزَامًا عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ، وَاحِدًا مِنْ أُمَّتِهِ، يَفْرَحُ عَنْدَمَا يَمَسُّهَا خَيْرٌ، وَيَحْزَنُ وَيَتَأَلَّمُ عَنْدَمَا يَمَسُّهَا ضُرٌّ؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ فِي حُكْمِ الْجَسَدِ، وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا فِي حُكْمِ الْعُضْوِ مِنَ الْجَسَدِ، وَإِذَا تَأَلَّمَ عُضْوٌ تَأَلَّمَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَنَجِدُ تَصْوِيرَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْفَرْدِ مِنَ الْأُمَّةِ تَصْوِيرًا دَقِيقًا، يُقَرِّبُ الْمَعْنَى مِنَ الْأَذْهَانِ وَيَجْعَلُهُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ، فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)).

وَإِنَّ فِي هَذَا الْأَثَرِ الشَّرِيفِ – عِبَادَ اللَّهِ – بِشَارَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَأَمْرُ الْمُؤْمِنِ عَاقِبَتُهُ خَيْرٌ، كَانَ ذَلِكَ الْأَمْرُ سَرَّاءَ أَوْ كَانَ ضَرَّاءَ؛ لِأَنَّ السَّرَّاءَ مَدْعَاةٌ إِلَى الشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ عَاقِبَتُهُ حِفْظُ النِّعْمَةِ وَزِيَادَتُهَا، وَمِنْ بِشَارَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[٤]، وَالضَّرَّاءُ مَدْعَاةٌ إِلَى الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ عَاقِبَتُهُ أَجْرٌ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ، وَقَدْ بَشَّرَنَا اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ فَقَالَ لَنَا: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٥]، وَالْمُؤْمِنُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ

(١)آل عمران: ١٠٣.
(٢)المؤمنون: ٥٢
(٣)الأنبياء: ٩٢.
(٤)إبراهيم: ٧.
(٥)الزمر: ١٠ .

بِاللَّهِ، فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي كَرِهَهُ الْإِنْسانُ خَيْرًا لَهُ، فَيَبِينُ لَهُ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ الَّذِي يَرْوِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ((أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ))، فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا وَجَدَ خَيْرًا، وَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

أَهْلَ الْإِيمَانِ:

إِنَّ مَا تَمُرُّ بِهِ الْأُمَّةُ مِنْ مِحْنَةٍ كُبْرَى فِي أَرْضِ الأَقْصى المُبارَكةِ لَهُوَ خَطْبٌ جَلَلٌ، حَيْثُ قَتْلُ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ، وَهَدْمُ الْبُيُوتِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ وَالْمَدَارِسِ، وَحَيْثُ الْحِصَارُ الطَّوِيلُ وَالتَّهْدِيدُ وَالتَّجْوِيعُ، بَلْ أَصْبَحَ أَهْلُ تِلْكَ الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ عَطْشَى، فَنَدَرَ الْمَاءُ الصَّالِحُ لِلشُّرْبِ، وَالْهَوَاءُ النَّقِيُّ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُتَنَفَّسَ، يَبِيتُونَ عَلَى قَصْفٍ بِسِلاحٍ مُدَمِّرٍ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ، وَيَأْتِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَيُصْبِحُونَ عَلَى إِخْرَاجِ الشُّهَدَاءِ وَالْمُصَابِينَ مِنْ تَحْتِ الْهَدْمِ؛ فَيَكُونُونَ بَيْنَ مُشَيِّعٍ لِشَهِيدٍ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَنَاقِلٍ لِمُصَابٍ إِلَى الْمَشَافِي وَمَرَاكِزِ الرِّعَايَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ تُعَانِي مِنِ انْعِدَامِ الْمَوَادِّ اللَّازِمَةِ لِلْعِلاجِ، بَلْ خَرَجَ بَعْضُهَا مِنَ الْخِدْمَةِ، وَمَعَ هَذَا وَذَاكَ نَجِدُ أَنَّ رَبَّنَا جَلَّ جَلَالُهُ يُوَاسِينَا فَيَقُولُ لَنَا: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1]، وَيَقُولُ لَنَا فِي مَعْرِضِ الْقِتَالِ خُصُوصًا: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]

عِبَادَ اللَّهِ:

يَأْمُرُنَا رَبُّنَا فَيَقُولُ لَنَا: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3]، وَيَقُولُ لَنَا نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ ﷺ: ((وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))، فَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا يَسْتَطِيعُ تَقْدِيمَهُ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْكُبْرَى، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَ كَثِيرًا – وَالْحُزْنُ يَعْصِرُ قُلُوبَهُمْ – مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ نَفْعَلَ؟ وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْجَوابُ الْكَافِي؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]، وَلَنَا فِي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، فَقَدْ كَانَ لَيْلَةَ بَدْرٍ يَوْمَ

(١)النساء: ١٠٤
(٢)البقرة: ٢١٦.
(٣)المائدة: ٢
(٤)البقرة: ١٥٣

الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ بَيْنَ صَلاةٍ وَدُعَاءٍ، حَتَّى إِنَّهُ ﷺ سَقَطَ رِدَاؤُهُ مِنْ خَلْفِهِ مِنْ كَثْرَةِ دُعَائِهِ وَمُنَاجَاتِهِ وَمُنَاشَدَتِهِ لِرَبِّهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ إِشْفَاقِهِمْ عَلَيْهِ: ((كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ)).

اسْتَعِينُوا – عِبَادَ اللَّهِ – بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ، وَادْعُوا وَتَضَرَّعُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْقُنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللَّهِ –، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَفْعَلَهَا عَوْنًا لِإِخْوَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ نُصْرَتَهُمْ بِالْمَالِ، وَعَدَمُ النُّصْرَةِ بِالْمَالِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ إِلْقَاءٌ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ كَمَا أَخْبَرَنَا اللهُ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ قَالَ لَنَا فِي مَعْرِضِ هَذِهِ الشِّدَّةِ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣]، وَالنُّصْرَةُ بِالْمَالِ لِتَوْفِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِخْوَانُنَا شَأْنُهُ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ، وَمَقَامُ فَاعِلِهِ كَرِيمٌ.

وَمِنَصَّةُ (جُود) – وللَّهِ الْحَمْدُ – مِنَصَّةٌ مَوْثُوقٌ بِها، تُوصِلُ الصَّدَقَاتِ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا مُبَاشَرَةً، وَكَذَلِكَ لِجَانُ الزَّكَاةِ، وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ فِي هَذَا الشَّأْنِ تَعْرِيفَ النَّاسِ بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَيَانِ الْحَقِّ، وَسَبَبٌ فِي الْإِيضَاحِ لِمَنْ كَانَ قَدْ أُوهِمَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَقُلِبَتْ عَلَيْهِ الْحَقَائِقُ وَأُلْبِسَ عَلَيْهِ " فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ".

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٤].

(١)الأعراف: ٥٦
(٢)الحج: ٤٠
(٣)البقرة: ١٩٥ .
(٤) الأحزاب: ٥٦.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الأَقْصَى المُبَارَكِ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَـادَ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.